

(c) <http://nidaulhind.blogspot.com>

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

# ثقافة الهند

المجلد ٥٢ العدد ٢

٢٠٠١م

رئيس التحرير

س. ضياء الحسن الندوي



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهي

الهند

## محتويات العدد

- ١٠١ - ١١٩      \_ الجوانب الحينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية  
أ. د. شيث محمد اسماعيل الاعظمي

## الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

بقلم: أ. د. شيث محمد اسماعيل الاعظمي      تعريب: د. فرحانه صديقي

وصف رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الهند بأنها أرض لعبير الجنة، والحقيقة أن هذه البلاد كانت معروفة لدى العرب و المصريين حتى في العصور البدائية للتاريخ و يرجع تاريخ علاقاتها مع غرب آسيا إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد(١). و قد ذكر المؤرخون أن الملك سليمان عليه السلام كان قد حصل على الذهب و الفضة و العاج و القروود و الطاؤوس من هذه البقعة من الأرض (٢). و كان الكتاب الاغريق و الرومان على معرفة عن جغرافيا الهند وذكروا عن الصادرات و الواردات الهندية، كما يوجد في كتاباتهم ذكر حارة للتجار الهنود كانت في الاسكندرية في بداية القرن الثالث (٣).

و قد مضت قرون عدة على بداية الاختلاط بين الهنود و العرب و ينعكس ذلك في دخول كلمات هندية إلى اللغة العربية إما بصفة مباشرة أو غير مباشرة، ومنها كلمة "الهند" التي اختارها العرب لتسمية بناتهم بـ "هند أو "هنده" و إن دل هذا على شيء فانما يدل على رحابة صدورهم تجاه الهند و كل ما له علاقة بالهند. كما كانوا يسمون السيوف الهندية بالهندوانى أو السيف المهند، و حظيت الاقواس و الرماح الهندية أيضا بقبول واسع لدى العرب ليس فقط لاستعمالها في ساحة القتال و إنما لاستخدامها المنزلي أيضا، و قد دخلت أسماء هندية

لعدة أشياء و مواد إلى اللغة العربية و ورد ذكر البعض منها في القرآن الكريم أيضا مثل الكافور و الزنجبيل (أصلها زنجابيرا) و المسك و ما إلى ذلك.

بالإضافة إلى القرآن الكريم نلاحظ ذكر هذه الكلمات في شعر ما قبل الإسلام أيضا و منها على سبيل المثال لا الحصر القرنفل (أصلها الكلمة الهندية كرن بهول) و الفلفل (أصلها الهندي ببيل) و المسك (أصلها موسكا) و القرطق (أصلها كرتة و هو نوع من القميص الهندي) و بابوس (أصلها بابو معناها الطفل) و غناء (أصلها جانا) و سراج (أصلها شراغ) و ضياء (أصلها ديا) و رشا (أصلها رسي معناها الحبل) و دلو (أصلها دول) و ساج (أصلها ساجوان) شجر كان خشبه يستعمل في صنع الأبواب و السرائر لبيوت النبلاء و كان سرير مصنوع منه في الحجرة الصغيرة للرسول صلى الله عليه و سلم و التي كانت أبوابها أيضا مصنوعة من نفس الخشب.

و سمي العرب الخشب المعطر "شنن" "بالصنل" و "دهوب" "بالعود" و "تارى" (نبيذ التمر) بالدازى، و كانت هذه الأشياء تنخر في أربعة هوانى، كانت بمثابة مستودعات للبضائع الهندية و هي جرة و ابله و سيهار و دبا و الأخيرة تعرف الآن بببي (٤).

كانت الاقمشة الهندية و الملاءات السندي و خاصة الفوطة مقبولة جدا لدى العرب - و قالت عائشة رضى الله عنها إن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يستخدم الاقمشة الهندية المصنوعة في السند (٥) و تنطق الكلمة الهندية "جات" من قبل العرب كـ "زوط" و هي سلالة هندية الاصل تسكن في المناطق الساحلية منذ قديم الزمن و معها عناصر أخرى تسمى "تكاكيرا" (أصلها الهندي تاكور) و بياسره و مانبييل و اسوار (واحدما سوار معناها راكب).

### الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

كانت جالية الجات أو الزط أبرز العناصر الهندية التي استقرت في بلاد العرب وحتى أن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا كان يعرف بتواجدهم هناك، و مرة أتاه وفد من نجران في السنة العاشرة من الهجرة فسأل من هم هؤلاء الرجال؟ إنهم يشبهون الهنود. و قام الزط بدور مهم في أوائل التاريخ الاسلامي خلال عهد الخليفة الرابع علي رضي الله عنه.

كان الحاد من اتباع البوذا و كانوا من سكان المنطقة الممتدة من السند إلى غجرات فاخترأوا السكن على السواحل الجنوبية و الشرقية لبلاد العرب حتى قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم. و مجموعة أخرى من اهل السند كانت تسكن في اليمن (٦) و شمال شرق الجزيرة العربية و ابله في العراق (٧) و اليمامة (٨) و نجران (٩) و مكة المكرمة و المدينة المنورة. و وفقا لإحدى البيانات فان عائشة رضي الله عنها استشارت ذات مرة طبيبا من "الزط" (١٠). و كما ذكرنا فيما سبق فان الهنود الذين استوطنوا أرض العرب قاموا بدور حيوي في التاريخ السياسي للعصور الأولى للإسلام و أصبح نفوذهم ملموسا للغاية في أواخر العصر العباسي في منتصف القرن الثامن مما جاء كبداية تاريخ طويل للعلاقات الثقافية العميقة دام سبعة قرون ذهبية لم تكن الاتصالات خلالها من طرف واحد بل كانت متباعدة و أحاطت بالمظاهر كافة للمعرفة الإنسانية لذلك العصر. و جاء فتح السند و البنجاب من قبل المسلمين لكي يزيد من نفوذ العرب في الهند حيث جعل المنطقتين مركزين للثقافة العربية.

كان الوضع في المنطقة الجنوبية للهند مختلفا عنه في السند و البنجاب و الملتان حيث وصل المسلمون هناك تجارا و بحارا و استقروا في كوكن (ولاية مهاراشترا) و مالابار (ولاية كيرالا) و المدن الساحلية لولايات أندھرا براديش و مدراس و ميسور و غجرات و كاتياوار. و هم نالوا كل مساعدة من الحكام

المحليين تصحبها الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية تحت حماية الحكام والملوك ويمكن الحصول على معلومات تفصيلية عن ذلك في بيانات الكتاب والسياح العرب لذلك القرن.

و هذا العصر هو الذي قام فيه المؤرخون و الجغرافيون و الرحالة المسلمون بتحويل الهند إلى البؤرة الرئيسية للتاريخ و نشروا العلوم و الحكمة و المعرفة الهندية في سائر انحاء العالم حيث أخذوها من الهند و نقلوها إلى غيرهم بأمانة و إخلاص.

يعتبر العصر العباسي عصرا ذهبيا فيما يتعلق بنشر و ترويج العلوم الطبيعية الهندية فتم نقلها إلى اللغة العربية تحت رعاية الخليفة هارون الرشيد و المامون و البرامكة الذين كانوا ينتمون أصلا إلى بلخ. و قد علمنا بوصول بعض العلماء (بندت) الهنود من السند إلى بلاط الخليفة العباسي المنصور فرحب بهم الأخير ترحيبا حارا و هم الذين جاءوا بذلك الرسائل الخاصة بالرياضيات و علم الفلك التي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية. و الكتاب الهندي حول علم الفلك "سوريا سدهانت" سمي لدى العرب "سند هند" و عرفوه عام ٧٧١م و ترجمه إلى العربية الفارازي بأمر من الخليفة المنصور (٧٥ - ١٧٧٢م). و من المؤلفات السنسكريتية المعروفة لدى العرب في ذلك العصر "أريابهاتا" لصاحبه أريه بهت (ولد في ٤٧٦م) سمي بالعربية "أرجبهاد" و الأركند (خندا خايكا) و ألفه براهما جبتا (ولد في ٥٩٨م) الذي ازدهر في أجين (١١) و هذه الكتب الخاصة بعلم الفلك شجعت كثيرا من علماء هذا الفن مثل الفارازي و الخوارزمي و بفضلها نالت مصطلحات سنسكريتية عديدة طريقها إلى اللغة العربية.

### الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

قام الفارازي بترجمة كتب حول الرياضيات و استعار العرب نظرية الصفر و النظام العددي الهندي من السنسكريتية.

كان النظام الطبي الهندي اى الايورفيدا معروفا لدى العرب و قد علمنا ان الطبيب الهندي منكا كان قد دعى من قبل هارون الرشيد لعلاج فعين طبيبا رسميا في المستشفى و قام بترجمة سبعة كتب إلى العربية.

كما كان أطباء هنود آخرون و هم كانكا و سانجهال و تشاناكيا (شنق) و جودهار (يشودهرا) معروفين خلال هذا العصر. و تمت ترجمة كتاب خاص حول الامراض النسوية إلى اللغة العربية مع الكتب الهندية الاخرى التي كانت تتناول موضوعات الحيات و السموم و علاج الحبالى و ما إليها (١٢).

هذا و لم تكن العلاقات الاجتماعية و الثقافية منحصرة في الطبقة الحاكمة او المثقفة و إنما نال النفوذ الهندي طريقه إلى جماهير المجتمع، ولذا نلاحظ ان التجار و العبيد من اصحاب الحرف و العمال و البنائين و المطربين و الرقاصين اندمجوا تماما في المجتمع العربي. و نعرف العبيد من الاعضاء البارزين للمجتمع الاسلامي الذين كانوا ابناء امهات ذوات الاصول الهندية مثل محمد بن حنفيه بن علي بن طالب صهر الرسول و الامام ابي حنيفة مؤسس إحدى المذاهب الفقهية الاسلامية. و في اواخر العصر العباسي ازدادت نسبة الزواج مع النساء الهنديات الاصل و احتل كثير من ابنائهن مناصب ادارية ممتازة و من بينهم ابو حارث هندي الذي عين امين الخزانة لدى الخليفة المهدي (١٣) و إن زوجة هذا الخليفة "سكر السنديّة" انجبت ابنه اسحاق (١٤). و ظلت مهنة الصيرفة بيد الصيارفة السندهيين و كان الدجاج السندهي يعتبر طبقا شهيا لدى العراقيين و ربما تستعمل كلمة الدجاج للحبارى. طائر معروف لصحراء السند.

## ثقافة الهند

و ذات مرة أرسل فيل هندي إلى بغداد للخليفة العباسي المأمون (١٥) وكان العرب معجبين بشدة بالطيور الهندية ومنها الطافوس و إن شاعرا للعصر العباسي و هو محمد بن بشار همداني شبه غناء الطيور الهندية بغناء الفتيات الهنديات.

و زار شاعر هندي بلاط يحيى بن خالد البرمكي وزير مأمون الرشيد و أنشد قصيدة في مدحه تعنى إحدى أبياتها " أنه كلما نتحدث عن أسخياء العالم فلا بد أن نذكر اسمك أيضاً (١٦).

و قد احتفظ تاريخ الأدب العربي بقائمة طويلة لأسماء الباحثين و علماء اللغة و الخطباء و الشعراء و رواة الأحاديث النبوية الشريفة و النحويين من نوي الأصول الهندية و تتضمن هذه القائمة أسماء عدد من النساء أيضاً، و معظم هؤلاء الناس كانوا يحملون لقب " السندي " و أبرزهم الخطيب المعروف إبراهيم بن السندي و من بينهم رواة الأحاديث النبوية و يبلغ عددهم مائة شخص و يبدو من أسماءهم أنهم اعتنقوا الدين الجديد.

و كان أبو العطاء السندي و إبراهيم السندي و أبو النصر السندي من أهم الشعراء العباسيين لذلك العصر.

أما السيدات الهندية الأصل للعصر العباسي فمنهن خمار السندي البغدادية التي كانت تبيع الخمر في بغداد (١٧) و الطبله الهندوية البغدادية و شاهدة الطحانة (صاحبة مطحنة).

ينعكس التأثير الهندي في الأعمال الأدبية لكثير من المثقفين العرب. أما فيما يتعلق بالأدب فيمكن القول إن فقه اللغة العربية قد تأثر كثيراً بنظيره الهندي، و هذا ما اعترف به الجاحظ في كتابه المعروف " البيان و التبیین ".



### الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

تحظى الهند بشهرة واسعة منذ قديم الزمن في فن تلخيص العلوم شعرا و اقتدى العرب الهنود في هذا الفن فقاموا بتلخيص كثير من الكتب حول النحو و علم الفلك شعرا و اعين بأن حفظ الشعر أسهل من حفظ النثر. و خير مثال لمثل هذه الروائع الأدبية هو كتاب النحو المعروف الفية ابن مالك.

وقد ذكر في التاريخ أن اللغوي الشهير خليل بن أحمد كان قد نصح تلميذه زيد بن سيار بأن ينظم الحروف العربية على نمط السنسكريتية. و إن "كليلة و دمنه" الترجمة العربية لكتاب اللغة السنسكريتية "بنج تانترا" معروفة بأصلها الهندي. و هناك عدد لا بأس به من المثقفين و الشعراء الذين تأثروا بالفلسفة الهندية تأثيرا عميقا و منهم أبو العلاء المعري و أبو العتاهية.

خلال القرن التاسع عشر أصبحت الهند مرة أخرى مركزا للعناية و الاهتمام لدى العرب عندما ظهرت حركة الترجمة في العالم العربي فقاموا بترجمة روائع أدبية كثيرة و منها كتابات غاندي و بریم تشاند و اقبال و طاغور و غيرهم. و بالإضافة إلى التراجم قرض الشعراء العرب البارزون للعصر الحديث أمثال أحمد شوقي و خليل مطران و الزهاوي و معروف الرصافي و مهدي الجواهري و عباس محمود العقاد و عمر أبو ريشه سفير سوريا لدى الهند قصائد جميلة عن الشخصيات الهندية البارزة مثل غاندي و جواهر لال نهرو و راجندرا براساد و مولانا محمد علي جوهر و مولانا آزاد و الحكتور ذاكر حسين.

و في الوقت ذاته تناول الشعراء العرب مواضيع هامة عن الهند مثل الكفاح لاستقلال الهند، كما أن الأماكن السياحية مثل كاشمير و خاجوراو و التاج محل و سد بهاكرا أوجت الشعراء العرب فتغنوا في قصائدهم بجمالها و روعتها.

كما نال كثير من الأعمال الدينية الممتازة إعجابا كبيرا لدى العرب ومنها "فتاوى عالمكيري" المعروفة بالفتاوى الهندية و "حجة الله البالغة" للشاه ولي الله الدهلوي و "سبحة المرجان في مدح هندوستان" لصاحبه غلام علي آزاد البلكرامي و هناك كثير من العلماء الهنود الذين يعرفون بمساهماتهم القيمة في أدب الحديث النبوي و منهم مولانا عبد الرحمان المباركبوري صاحب "تحفة الأحوذى" و العلامة عبد الحي الحسني صاحب "نزهة الخواطر" و ابنه العظيم الشيخ ابو الحسن علي الحسني النبوي، و قد اعترف العرب بهذه الأعمال الهندية بأعماق قلوبهم.

و في الوقت الحاضر تصدر مجلات عربية عديدة في الهند و أشهرها ثقافة الهند التي يصدرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية في دلهي و البعث الاسلامي و الرائد و تصدر كلتاهما في لكهنؤ و غيرها من المجلات و الصحف التي تدرس في ديوبند و فاراناسي.

و يجب الان ننسى ان الافلام الهندية تمثل دورا حيويا في عرض و إبراز الثقافة الهندية باحتوائها على القيم الانسانية الخالدة و نخص بالذكر من تلك الافلام "مدر إنديا" و هو معروف لدى العرب بإسم "الأم" و سوف تبقى ذكريات هذه الافلام في قلوبهم ناهيك عن نجوم و نجمات السنيما الهندي أو المطربة الشهيرة لتا منغيشكر التي انتصرت بصوتها العذب كالعسل على قلوب الملايين من الناس.

### الجوانب الدينية:

تعتمد معلوماتنا عن هند القرون الوسطى بالدرجة الرئيسية على كتابات المثقفين و المؤرخين العرب أمثال:

الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

١ - الجاحظ (ت ٦٨٤م) هو أقدم من كتبوا عن الهند. ففي كتابه "الرسائل" خصص بابا لتفوق الملونين على البيض و قدم معلومات هامة عن الهند و الهنود.

٢ - سليمان التاجر: إنه سافر بين الهند و الصين و العراق كتاجر و خلال رحلاته قام بزيارة القرى الساحلية الهندية و كتابه يحتوى على معلومات ثقافية و ادارية و جغرافية عن الهند و قام بتدوين تلك المعلومات في حوالي ٨٥١م.

٣ - أبو زيد الصيرفي: كتب أبو زيد عن العادات و المعابد و الاعراف و المعتقدات و البيانات الجغرافية الخاصة بالهند و تعتبر كتابات سليمان التاجر و أبي زيد الصيرفي بمجملها ذخيرة كبيرة للمعلومات عن الهند.

٤ - ابن خرزويه: رغم أنه لم يزر الهند قط و لكنه جمع معلومات كثيرة عن الهند من الاشخاص القادمين منها، كان يشغل منصبا مهما لدى الخلفاء العباسيين و كان مسئولاً عن قسم البريد و ادارة الامن و كانت له وثيق صلة مع الديوان الملكى و إن كتابه المعروف "المسالك و الممالك" يحتوى على معلومات عن الطرق التجارية البرية و البحرية و العادات و الاعراف الشائعة في الهند. ولد عام ٨٥٠م و توفى عام ٩١٢م.

٥ - البلاذري: يقدم كتابه "فتوح البلدان" بيانا تفصيليا عن فتوح السند، كان جغرافيا و مؤرخا معروفا توفى عام ٨٩٢م.

٦ - اليعقوبي: نال كتابه في التاريخ شهرة واسعة، قام بأسفار كثيرة و زار العالم الاسلامي في ذلك الوقت بما فيها الهند. توفى عام ٩٠٠م.

٧ - ابن الفقيه: له كتاب معروف "كتاب البلدان" ألفه بعد عام ٩٠٢م.

٨ - ابن رسته: صاحب كتاب معروف "الاعلاق النفيسة" يقدم بيانا تفصيليا عن ثقافة الهند و أنماط العبادة و الاضاحي و قوانين العقوبات السائدة في الهند، و ألفه عام ١٠٣ - ٩٠٢م.

٩ - المسعودي: كان سياحا و جغرافيا و مؤرخا ينتمي إلى بغداد و يحتوى كتابه "مروج الذهب" على معلومات عن المدن و الأنهار الهندية.

١٠ - ابن النديم: يعد كتابه "الفهرست" من المصادر الموثوق بها للمعلومات عن الديانات و الطبقات الدينية الهندية.

بالإضافة إلى الكتاب المذكور أسماؤهم أعلاه هناك كثيرون آخرون كتبوا حول الهند و منهم مطهر بن جرير الذي يعرف بكتابه "كتاب البدء و التاريخ" حول الديانات الهندية و جغرافيا الهند، و الاصطخرى الذي جاء إلى الهند عام ٩٥١م و كتب عن الهند و السند، و المقدسي و كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" يحتوى على وصف السند، و قاهر البغدادى الذي توفى عام ١٠٣٧م و كتب عن الديانة البوذية و البوذيين و سعيد الاندلسي الذي يعرف بكتابه "طبقات الأمم" و فيه باب حول تخصص الهندوس في الفلكيات. و يقدم كتاب "الملل و النحل" للشهرستاني بيانات تفصيلية عن التاريخ و الفلسفة و الطبقات الدينية للهندوس. توفى الشهرستاني عام ١١٥٣م. و من بينهم ابن حوقل الذي كان أول عالم للجغرافيا حاول تقديم معلومات تفصيلية عن طول الهند و عرضها إلى جانب البلدان المتاخمة و توفى عام ٩٧٩م. أما الإدريسي و البيروني و ابن بطوطة فجميعهم في غنى عن التعريف.

و سبق أن ذكرنا أن معرفتنا عن الهند تعتمد على بيانات هؤلاء الكتاب و السياح و لكننا نحتاج إلى دراسة التراث التاريخي و الأدبي للقرون الوسطى من أجل الاطلاع على التأثير الديني الهندي لدى العرب.

### الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

من المعروف أنه كانت هناك علاقة قوية بين عباد الأوثان من الهند وجنوب شبه الجزيرة العربية مما أدى إلى اندماج سريع بينهم. وقد ذكر الشهرستاني شواهد على ذلك (١٨) فكتب أن الدين الذي يمارسه الهنود و العرب هو نفس الدين تقريباً (١٩) و عد كل من المسعودي و الشهرستاني معبد "سومنا" من الأماكن المقدسة لدى الهندوس و العرب (مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩) و إن الكعبة لأبد أن كانت مقدسة لدى الهندوس أيضاً قبل الإسلام، وجاء في رواية أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم عثر على سيوف هندية في بئر زمزم، فاستخدمت في باب الكعبة و بقي هذا الباب في حالة جيدة حتى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

و يضرب المثل بحماس الامبراطور أشوك تجاه الديانة البوذية فقد أرسل بعثات تبشيرية إلى خمسة حكام أغريق من بينهم Antioch في سوريا و انتيفونس جوناتا في مقدونيا و الاسكندر في ابيرس. و يقال إنه بفضل النشاطات التي قامت بها البعثات التبشيرية أصبح قانون التقوى لهذا الامبراطور مقبولا و معمولاً به في امبراطوريته (٢٠). و جاءت فتوحات الاسكندر لكى تفسح المجال أمام المعلمين الدينيين للرحلات ولذا نجد في الفترة من القرن الثاني ق م إلى القرن الثاني الميلادي حارة خاصة للهنود في الاسكندرية (٢١). و هكذا ازدهرت الفلسفة الهندية في هذه البلدان و انتشرت الافكار الهندية في الدول المجاورة لحد أن جاحظ استعمل كلمة "سادهو" (القديس) للنسك الذين كانوا يتجولون، في بغداد.

و فور وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم دخل الدين الإسلامي مرحلة ارتباك منطقي و بدأ يتفرع إلى مذاهب و نظم عدة بفعل ضغوط الحياة و المنطق، فكانت طبقات الخوارج و الشيعة و المرجئة و القادرية أول ما ظهر

إلى حيز الوجود. و إن طبقة الشيعة التي ازدهرت في فارس قامت بتطوير نظم مثيرة للعناية، وتبنت مجموعة متطرفة منها مبادئ، توجد لها مثيل في الهندوسية. على سبيل المثال كانت هذه المجموعة تؤمن بالخلو و التقصير و بينما يعنى الاول ان الانسان يمكن ان يرفع إلى منزلة الاله فان الثاني يعنى بان الاله يمكن ان ينزل إلى درجة الانسان. و بالتالي فإنهم رفعوا زعيمهم إلى مكانة الألوهية و بالتالي اعتقدوا أنه يمكن حلول الله في نفس البشر و آمنوا كذلك بنظرية تناسخ الأرواح.

نجد هذا التأثير في الشعر العربي أيضا (أثناء القرنين الثاني و الثالث من الهجرة) عندما أعرب كثير من المسلمين عن شكوكهم في عقيدة الحياة بعد الموت و النبوة متأثرين في ذلك بالأفكار الهندية (٢٢). و جاء في الأغاني أن الشاعر الأموي المعروف كثير عزه كان يؤمن بتناسخ الأرواح.

بالإضافة إلى الفلسفة الهندية بدأت الأفكار الدينية الهندية الأخرى و قصص الزعماء الروحيين الهنود تنال طريقها إلى المجتمع العربي لذلك القرن. فدخلت أسطورة البوذا إلى الأدب الإسلامي بصفته قديسا و إن الكتاب المسلمين عن حياة البوذا خلطوا بين قصته و قصص ابراهيم بن ادهم. و الزهاد الهنود الذين كانوا يسافرون في جماعة اثنين و لا يقيمون في مكان أكثر من ليلتين كانوا معروفين لدى المسلمين، فأخذوا منهم العهود الأربعة و هي الطهارة و الصدق و الفقر و استخدام السبحة (٢٣). و كان الجاحظ على معرفة جيدة عن هؤلاء القديسين فذكرهم باسم "سادهو" في كتاب الحيوان.

و بعد تأثرهم بروحانية الشرق بدأ المتصوفون المسلمون للقرون الإسلامية الأولى مثل حسن البصري و مالك بن دينار و بايزيد البسطامي يمارسونها

### الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

وينشرونها، ولهذا السبب نجد أن فكرة "نرفانا" (الخلاص) و ممارسة اليوجا و امتلاك القدرة لاحداث خوارق العادة تسربت إلى الاسلام تحت مصطلحات الفناء و الطريقة و السلوك و المراقبة و الكرامة و المعجزة. و هذه الفترة الاولى للتصوف استمرت حتى بداية القرن التاسع الميلادي. و خلال هذه الفترة كان زعماء التصوف يعيشون عيش الزهد و التقوى و كانت البصرة و الكوفة مركزين هامين للتصوف في ذلك العصر.

يذكر عزيز أحمد في كتابه "التصوف الإسلامي و التصوف الهندوسي" أن التصوف الإسلامي يبدو كأنه اتصل بالافكار الصوفية للبونية و الهندوسية في مرحلة متأخرة و بعد أن تطور معظم ميزاته الرئيسية اما في اطار التقاليد الإسلامية الاصل أو في اطار العناصر الافلاطونية المحدثه او المسيحية. و من بين الميزات الرئيسية المماثلة للتصوف الإسلامي و البونية كما ذكرها عزيز أحمد نقلا عن كتاب بارزين مثل جولد زيهر و نيكلسون و زهينر و غيرهم هي: الطريقة و المراقبة و التفسير الصوفي للتوحيد، و يعتقد جولد زيهر أن هذه الافكار مستعارة من الفلسفة الهندية و يرى أن تصور بايزيد عن الانهار و البحار يرجع إلى المصدر البوذي "أودنا فارجا". و يبدو أن الممارسة الصوفية "حبس الدم" قد تم استخراجها من ممارسة اليوجا البونية "براناياما" و المبدأ الصوفي للصالح مع الجميع يبدو مستعارة من البونية (مهايانا) بدلا من الهندوسية (٢٤).

و يمكن أن نلاحظ لمحات عن الافكار الهندية الاخرى لدى الشعراء مثل المعري الذي كان سوريا لا يأكل اللحوم و كان متأثرا بشدة بأفكار هندية مثل نظرية "اهنسا" (اللاعنف). و يظهر التأثير الهندي بشكل أكثر وضوحا لدى منصور الحلاج الذي سافر إلى السند و كشمير و من المعروف أنه اعدم بسبب ادعائه أو اعتقاده بحلول ذات الله في روحه (٢٥).

وتجلت افكاره بوضوح فيما بعد لدى ابن العربي و الجيلي و تغنى بها  
الفريد و أبو سعيد بن أبي الخير.

و في الجانب الآخر بدا عديد من العلماء المسلمين يتوافدون إلى الهند  
و ابرزهم على بن عثمان الهجویری المعروف بداتا بخش اللاهوري الذي توفي في  
لاهور عام ٤٦٩ هـ و فريد الدين عطار و خواجه معين الدين الجشتي الذي جاء  
إلى اجمير عام ١١٩٧م و الجيلي الذي جاء إلى الهند عام ١٢٨٨م. كما استوطن  
الهند سيد شاه مير بن عبد القادر جيلاني و قطب الدين بختيار كاكی و شاه غوث  
شتاري (ت ١٥٦٢م) و شاه مدار (القرن الحادي عشر) و شاه سرور، و جميعهم  
عاشوا في الهند و قامو بنشر الافكار الإسلامية و مبادئ التصوف الإسلامي في  
طول البلاد و عرضها. يذكر بارث في كتابه "الديانات الهندية" أن العرب وصلوا  
إلى سواحل جنوب الهند و أقاموا اتصالات تجارية و اجتماعية مع سكانها قبل  
وقت طويل من قدوم الافغان و الأتراك و المغول إلى هذه المناطق. و في الفترة  
الممتدة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر شهدت هذه المناطق ظهور  
حركات دينية تنسب إلى سانكارا و راما نوفا و آنندجا تيرتا و باسافا (٢٦). و كان  
نفوذ الإسلام في المرحلة الأولى مباشرا و محدودا و لم يكن ذلك نتيجة دراسة  
الأدب الإسلامي بقدر ما كان نتيجة لتعاليم علماء الدين أو ممارسة اعراف  
المسلمين و عاداتهم. و استقر المسلمون بعدد كبير في هذه السواحل التي  
أنجبت عدة علماء كبار للهندوس.

ولد سانكارا في الفترة التي كانت الهندوسية فيها تنتصر على منافسيها  
– البوذية و الجينية – و كان بشيرا لعهد جديد حيث عمل على وضع فكرة  
التوحيد على أساس فلسفي متين لكي يقتنع بها العقل و المنطق أيضا و يمكن  
ضمان بقائها كفكرة دائمة (٢٧). و نالت عملية ترسيخ النزعة التوحيدية قوة  
دفع بظهور الاسلام كدين لا يقبل مساومة على فكرة التوحيد (٢٨).



### الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

ونجد نفس النزعة تقريبا لدى أخلافه رامانوجا و فيسنو سوامي و نيمباركي فيما يتعلق بتثبيت فكرة التوحيد. و في عملية الأخذ و العطاء و التبادل الثقافي بين المسلمين و الهنود أنه من الصعب تحديد نصيب كل من الطرفين و لكن الأمر الذي لا يختلف فيه الاثنان هو أن المسلمين أخذوا أفكارا كثيرة من الهند.

بالنسبة لفلسفة رامانوجا فاعترفت بوجود الله الواحد المتميز بصفات حسنة و ركزت على عبادته بالعقيدة و التفاني. و قد أعرب رامانوجا عن رغبته في فتح أبواب الدين للطبقات التي كانت مغلقة لها حتى الآن، و الحب ينال مكانا هاما لديه ليس في علاقة الانسان مع الله فحسب و إنما في علاقة الإنسان مع الإنسان (٢٩).

و ينعكس النفوذ الإسلامي في الخصائص الأخرى لأفكار جنوب الهند من القرن التاسع و منها التأكيد المتزايد على التوحيد و الخشوع و الخضوع في العبادة و تكريم المعلم بالإضافة إلى التخفيف من قسوة التمييز الطبقي.

إن فكرة الخضوع هي بمكان من الأهمية لدى رامانوجا و أنه أخذ هذه الفكرة من الإسلام الذي يعنى الاستسلام التام أمام مشية الله. و هناك طائفتان أخريان تأثرتا بالإسلام و هما "ليتغايت" و سيدهار" (٣٠).

و نصل إلى نفس النتيجة بعد دراسة رامانند و كبير و الجورو نانك. و شف دراسة المصادر الثانوية مثل "أثر الإسلام في الثقافة الهندية" لمؤرخ معروف أن العلماء الكبار للقرن السادس عشر أمثال "دهانا" و هو من منطقة راجبوتانا (ولد عام ١٤١٥م) و سائين و هو من بانجو غاره و رأى داس عامل المصنوعات الجلدية و الذي ولد في فارانسي و دادو ديال من ماروزار (ولد في

١٥٥٤م) و مالوك داس و سنذر داس (ولد في ١٥٩٦م) من راجبوتانا و بيربان الذي ولد عام ١٥٤٣م في بنجاب الشرقية و لال داس و بابا لال في القرن السابع عشر و دهارى داس و بران نات في النصف الثاني من القرن السابع عشر و جاغجيون داس من سروها في بارابنكى و ولد عام ١٨٧٦م و ديشو داس و تشرن داس من ميوات و الذي ولد عام ١٧٠٣م كانوا متأثرين بالتعاليم الإسلامية.

بالإضافة إلى هؤلاء كان هناك آخرون كثيرون ممن تأثروا بالأفكار الإسلامية و منهم غريب داس الذي ولد في روهتك عام ١٧١٧م و شاجا ناد من أيودها و ولد عام ١٧٨٠م و بالتو داس من فيض آباد وغيرهم من الزعماء الدينيين في بنغال و مهاراشترا، فجميعهم كانوا يتغنون بلحن واحد.

أما فيما يتعلق بالمسلمين الهنود فكان العالم العربي موضع احترام و تقدير لديهم و إن نمط عيشهم رغم كونه هنديا بأصله تأثر كثيرا بأنماط العيش العربية و ينعكس هذا في مجال التعليم و المناهج الدراسية و المهرجانات و الأعياد. كما أن اللغة العربية ليست مصدر إحياء للخط الفارسي و الأردى فحسب و إنما للغة السنديّة و الغجراتية أيضا و توجد كلمات عربية في عدة لغات هندية بعدد لا بأس به.

و لم يبق المسلمون الهنود بمنأى من أثر الإصلاحات التي شهدتها العالم العربي و الإسلامي، على سبيل المثال توجد طبقات المتصوفين للعالم الإسلامي في الهند أيضا. و نلاحظ آثار الحركة الوهابية و حركة التجديد التي كان رائدها جمال الدين الأفغاني و محمد علي و أفكار الشيخ محمد عبده و رشيد رضا لدى المسلمين الهنود. و ما من كتاب في الأدب العربي و الموضوعات الإسلامية إلا أنه يوجد في دور الكتب في الهند.

### الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية

و المسلمون الذين جاءوا إلى الهند استوطنوها و أصبحوا يعيشون مع الهندوس في ونام تام حيث لا يمكن التعايش بعداء مستمر و هذا الجو من التعاون و التعامل أدى إلى تفاهم متبادل بين المجموعتين و تطوير ثقافة جديدة لم تكن هندوسية أو مسلمة خالصة و إنما هي ثقافة مركبة نشهد مظاهرها في كل مكان و منها الهندسة المعمارية التي نسميها الهندسة المعمارية الإسلامية الهندية.

في مجال العلوم ورث الهندوس نظاما متطورا للرياضيات و علم الفلك و الطب و هم قادوا العرب في هذه الفروع للمعرفة الانسانية. أما العرب فجدوا معرفتهم على ضوء العلوم الاغريقية و الهندية و عندما جاءوا إلى الهند كانت لديهم نظم متطورة في هذه المجالات. فقام العلماء الهنود بترجمة الماجستي من العربية إلى السنسكريتية. و استعار الطب الهندي من المسلمين علم الحوامض المعدنية و نظاما عدة في الكيمياء الفلكية و الفنون. و المسلمون هم الذين جاءوا إلى الهند بالابرة و روجوا فن صنع الورق و الحرف الأخرى. و قال الدكتور تاراتشاند حقاً: "إن وجهة نظر الإسلام حول الحياة الاجتماعية تتميز بطابع ديمقراطي و لا تقيم قيمة كبيرة للنسل و الارث و إن تأثير الإسلام هو الذي خلق شعور العدل الاجتماعي بين الهندوس و أدى دوره في ازالة الحواجز الاجتماعية.

### الهوامش:

١ - منتز. تاريخ الهند البريطانية. ج ١، ص ٢٥.

٢ - مقبول احمد. العلاقات الهندية العربية. ص ٣.

- ٣ - تارا تشاند. اثر الإسلام في الثقافة الهندية. ص ٩
- ٤ - كتاب الأرملة و عالم كناه. ص ١٦٣ - ١٦٤
- ٥ - لسان العرب. ج ٢، ص ٢٢٢
- ٦ - نفس المصدر السابق ص ٢٧٢
- ٧ - نفس المصدر السابق ج ٧ ص ٢٠٨
- ٨ - الاصابة في تمييز الصحابة ج ١، ص ١٧٩
- ٩ - أحمد أمين. فجر الإسلام. ج ١ ص ١٣
- ١٠ - فتوح البلدان ص ٩٨
- ١١ - سيرة ابن هشام و طبرى. ج ٢ - ٢. ص ١٧٥ و ٥٩٢
- ١٢ - الأدب المفرد ص ٢٧
- ١٣ - مقبول أحمد. العلاقات الهندية العربية. ص ١١
- ١٤ - نفس المصدر السابق ص ١٥
- ١٥ - مسعودي مروج الذهب. ج ٢، ص ٢٤٨
- ١٦ - كتاب المنق. ص ٥٠٥
- ١٧ - مسعودي مروج الذهب ج ٢، ص ٥٦
- ١٨ - روضة العقلاء ص ٢١٤
- ١٩ - الأغاني ج ٤، ص ١٧٧
- ٢٠ - الجاحظ البيان و التبیین ج ١.
- ٢١ - شوقي ضيف العصر العباسي الأول ص ١٢٢
- ٢٢ - شهرستاني الملل و النحل ج ١، ص ١ - ٢
- ٢٣ - نفس المصدر السابق ج ٢.

(c) <http://nidaulhind.blogspot.com>

**الجوانب الدينية و الاجتماعية للعلاقات الهندية العربية**

**Majumdar R.C. Imperial unity p. 616 - ٢٤**

**T. Chand, Alarab (magazine) Oct.1962 p.21 - ٢٥**

**T. Chand, Influence of Islam on Indian culture.p.52 - ٢٦**

**٢٧ - حضرة مصطفى اتجاهات في الشعر العربي. ص ١٠١**

**T. Chand. Influence of Islam. p. 67 - ٢٨**

**Maqbool Ahmad. Indo-Arab relations. p. 22 - ٢٩**

**٣٠ - حسن عبد الحكيم. التصوف في الشعر العربي ص ٢٤٦.**

